

## حجة مراد ويليفريد هوفمان :

### تجربة التحول إلى الإسلام

(الصفحات ٣٣ - ٥٤)

#### ملخص :

هوفمان أسلم وسمى نفسه (مراداً) وكتب بعد إسلامه يوميات ألماني مسلم،  
والإسلام كبديل للإسلام كبديل والطريق إلى مكة.  
تنقل بين الصحافة والخارجية والفن والفلسفة، وأعجب بمحمد أسد  
النمساوي الذي أسلم قبله، وكانت معظم خبرات هوفمان في شمال أفريقيا  
وتركيا. وفي كتابه *الطريق إلى مكة* يعرض لأمر هدايته إلى الإسلام. ويقول  
إنه مرّ بتجربة ذات طابع جمالي في نظره إلى الدين المبين. ويقول: صار الفنّ  
الإسلامي لي وطنًا جماليًا كما كانت الفنون التي أولعت بها قبل الإسلام. ومن  
الأموال التي لفتت نظره هي أنه وجد في الإسلام أصفى وأبسط تصور لله سبحانه.

أثار إشهار الدكتور مراد ويليفريد هوفمان إسلامه، قدرًا كبيرًا من الاهتمام  
وصل إلى حدود الضجة في الغرب. لدرجة أن بعض المسؤولين الغربيين كانوا  
يخفون خبر إسلامه، وحقيقة اهتدائه إلى الإسلام. وهذا الإخفاء كان يعد أكبر  
دليل على إحساس الغرب - متمثلًا في رجاله - بالحرص الشديد تجاه ما أقدم عليه

\* - أديب مصري.

مراد الذي اختار هذا الاسم، لأن معناه ودلالته: المبتغى والمرتجى والمأمول. أي أن الرجل في الوقت الذي طوى صفحة ما قبل الإسلام في حياته، فإنه كان يأمل ويحلم أن يكتب السطور الأولى في الصفحات الأولى من الفصل الجديد من حياته.

مراد هوفمان ليس أول من تحول من دين سماوي هو الدين المسيحي إلى الإسلام. ولن يكون الأخير. كما أن سلسلة التحولات هذه شهدت بشراً تحولوا من الإلحاد إلى الإيمان. وآخرين تحولوا من اليهودية إلى الإسلام، لكن تبقى لنا التجربة الإنسانية. تجربة هذا التحول، الذي يبدأ على شكل قرار إنساني، يتخذ من العقل، ويتحول مصير الإنسان بعد قراره هذا، حيث يصح للقرار ما قبله، وما بعده.

لديّ ثلاث وثائق هامة كتبها مراد هوفمان عن هذه التجربة، كتبها ووجهها إلى رفاقه في الغرب، سواء المسلمين أو المسيحيين. وقد اختار بعناية من يتوجه إليهم بخطابه واعترافاته، لأنهم هم الأحوج لقراءة هذه الشهادة، وقد كتبها بنفس لغتهم وهو يقدم لهم حالة اهتدائه إلى نور الإسلام، ويحسب تواريخ صدور هذه الشهادات الثلاث في ترجماتها العربية. نقرأ معه: *يوميات ألماني مسلم*، القاهرة ١٩٩٣، *الإسلام كبديل* ١٩٩٧، *الطريق إلى مكة* ١٩٩٨، حيث يقدم أكثر من شهادة على أكثر من رحلة، رحلة في الزمان ورحلة في المكان، أثمرتا معاً الرحلة الأكثر أهمية: رحلة داخل النفس الإنسانية، هذه الرحلات الثلاث أوصلت صاحبها وبطلها إلى نور الإسلام.

لا يذهب الظن بالقارئ أن رحلة الحاج مراد هوفمان تعكس نوعاً من المعاناة الذهنية والتفكير العقلي فقط، لأن هوفمان هو أول من يقدم الدليل القاطع من الجزائر، أو من خلال تعامله المباشر مع محمد أسد، أو دراساته للفلسفة الإسلامية، وكل هذا مكنه من أن يجري المقارنات الكثيرة بين الإسلام وقيمه وفلسفته وإنجازاته سواء على مستوى الإنسان الفرد أو المجتمع، وبين الحضارة الغربية وأيديولوجيتها وقيمتها. لم يصل هوفمان إلى الإسلام من الفراغ. ولكن بعد تجربة

## ● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

حافلة وطويلة، بدأت بحصوله على الدكتوراه في القانون من أمريكا، ثم عمله خبيراً نووياً سابقاً في حلف الأطلسي، ثم سفيراً سابقاً لألمانيا سواء في الجزائر أو المغرب.

كتاباته لم تظل حبيسة للغة الألمانية، بل وصلت إلى من يتكلمون الإنجليزية والفرنسية، ثم انطلق يتعلم العربية والتركية. لم يكتف هوفمان بالرد على حملات الغرب ضد الإسلام والمسلمين، والوقوف ضد التحيزات الخاطئة والتي تتعدى حدود المعقول وتدخل في نطاق اللامعقول، لدرجة أنها أصبحت تشكل مواقف مسبقة ضد الإسلام.

إن هوفمان يتوقف طويلاً أمام المعنى الذي ربما لم نهتد إليه، نحن المسلمين، ألا وهو إدراك القوة التي يمكن أن يستمدّها المؤمن من دينه، وكيف نستطيع أن نسمو به. إنه يبدأ من حالته الفردية وصولاً إلى حالة الأمة. إنه يحاول أن يبين الأفق الذي يمكن أن يصل إليه العالم الإسلامي، عند تمسكه بهذا الدين في حياته اليومية.

وهوفمان يمزج بين الدراسة الأكاديمية، وتجارب الحياة اليومية، خاصة عندما عمل وسط المسلمين سواء في الجزائر أو في المغرب. حيث كان الاحتكاك يومياً مع بشر عاديين، رآهم وهم يصارعون ظروف الحياة، ويستمدون من دينهم القوة الحقيقية لمواجهة ظروف الحياة الصعبة. كل هذا تحرك على خلفية من دراسته النظرية خاصة للفلسفة التي تعني رحلة إلى داخل الروح، وقدرة فريدة على طرح الأسئلة.

## حجة مراد ويليفريد هوفمان

قرار التحول من دين إلى دين يعد من القرارات الخطيرة والكبرى والجوهرية في حياة الإنسان. والقرار يبدأ في عقل الإنسان، ولذلك فإنه من الصعب استخدام التعبير الاقتصادي في وصف هذا التحول بأنه إعادة إنتاج للذات. ولكن التحول

هو التعبير الأكثر دقة. ويكون عادة الكلمة الأخيرة في تجربة روحية سابقة أدت إلى تجربة لاحقة، ناتجة عن طرح الأسئلة الجوهرية، والسباحة عكس التيار، والمشي في مواجهة الريح، والأهم من هذا كله أن أي تحرك يقوم به الإنسان عندما يكون دارسًا للفلسفة، وأي قرار يتخذه لا بد وأن تكون له بذرة حقيقية في الأعماق ومعاينة فعلية في الوجدان.

وعلى هذا الأساس أبدأ رحلتي مع هوفمان الذي اختار لنفسه بعد إشهار إسلامه اسم مراد أي المبتغى والمراد والمرتجى، وهي كلها أسماء تشير إلى أن هذا التحول كان مشروعًا للأمل. لم يكن هوفمان أول من جرى له هذا التحول من المسيحية إلى الإسلام، ومن المؤكد أنه لن يكون الأخير، ولكن أهمية تحوله تنبع من أمور محددة:

**أولها:** أنه معاصر لنا. ولذلك من السهل تتبع الظروف الخارجية العامة التي أدت إلى قراره.

**ثانيهما:** أنه كتب وقدم التضاريس الداخلية لروحه ونفسه ووجدانه وضميره خلال رحلة هذا التحول الفريد.

**ثالثها:** مما يعطي هذه الرحلة عمقها ولا يجعلها تحركًا خارجيًا فقط. إن هوفمان دارس للفلسفة والقانون وهما من المواد التي تجعل دارسها من القادرين على طرح الأسئلة. والاعتراض، والقادرين على قول لا.

### من هو هوفمان؟

مراد ويلفريد هوفمان الحاصل على الماجستير في القانون من جامعة هارفارد. وعلى الدكتوراه في القانون من جامعة ميونيخ. عمل بالخارجية الألمانية منذ ١٩٦١. وتولى مناصب في بعثات الخارجية الألمانية في الجزائر وبرن وباريس وبروكسيل وفيينا وبلجراد. وهو خبير نووي سابق في حلف الأطلسي. وبعد أن اهتدى إلى الإسلام في أوائل الثمانينات. وكان قد نشأ كاثوليكيًا، نشرت له عدة كتب،

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

ومقالات وأبحاث باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية، وهو يتحدثها بطلاقة ويكتب بها، كما أنه يدرس العربية والتركية. وإن كان لابد من الاعتراف أن المعلومات الشخصية والخاصة عنه قليلة، من حيث، من هو كإنسان! وما هي الأسرة التي نشأ وتربى فيها، والأماكن والأزمنة التي تجول خلالها.

### مؤلفاته

مراد هوفمان ثلاثة كتب مترجمة إلى اللغة العربية وهي:

١- *يوميات ألماني مسلم* الذي ترجمه الدكتور عباس رشدي العماري. وصدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر- القاهرة ١٩٩٣. وإن كان المترجم لا يحدد سنة صدور الطبعة الألمانية للكتاب التي ترجم عنها. وهذا الكتاب المكتوب على شكل يوميات تبدأ من ١٧ مايو ١٩٥١ في نيويورك وتنتهي عند ١٥ يناير ١٩٨٦ في بروكسل. وفي هذه اليوميات تتراءى سيرة مراد هوفمان الروحية التي أوصلته إلى الإيمان بالإسلام. والكتاب ليس مجرد يوميات أو خواطر فقط ولكنه تسجيل دقيق للمواجهات التي قاده إلى الإسلام، وزادت من إيمانه به.

٢- *الإسلام كبديل* عزّبه عادل المعلم، ونشرته دار الشروق - القاهرة ١٩٩٧. ومن المقدمة يتضح أن هناك ترجمة سابقة له، يشير إليها عادل المعلم، وهي ترجمة: غريب محمد غريب، وإن كان لم يحدد سنة ولا مكان نشر هذه الترجمة. طبعة دار الشروق أضيف لها في آخرها فصل موجز ومكثف عن البوسنة والهرسك والشيشان. كذلك هناك إضافات لعادل المعلم وضعها بين أقواس. وكذلك العديد من الهوامش المهمة. وإن كان يتضح من مقدمة مراد هوفمان للترجمة العربية لكتاب *الطريق إلى مكة*. إن كتابه *الإسلام كبديل* صادر سنة ١٩٩٢ عن دار نشر ديتريش الألمانية. يقول المؤلف عن كتابه هذا: لقد حاولت في هذا الكتاب، وبمنهج عقلائي، دحض جميع التحيزات والأفكار الخاطئة واللامعقولة،

المسبقة والضاربة بجذورها في أعماق الوجدان الألماني حيال الإسلام، خاصة والتي كنت أشعر بضراوتها، ووصولها إلى الذهن الألماني قبل أي دراسة أو معرفة بالأمر. لقد تناولت في هذا الكتاب الإسلام من خلال رؤيته هولذاته، وللصورة التي يريد أن يكون عليها، ولتلك التي ينبغي أن يكون عليها.

٣- الطريق إلى مكة. بدون مترجم دار الشروق - القاهرة ١٩٩٨. يقول المؤلف عن هذا الكتاب إنه يعني بحقيقة الإيمان كما عاشها ويعيشها ويتمنى أن يساعد كتابه على إدراك القوة الدافعة التي يستمدّها المسلم المؤمن من دينه، وكيف تستطيع أن تسمو به، وأن يساعدها كذلك على الحلم بالأفق الذي يمكن أن يصل إليه العالم الإسلامي عند تمسكه بهذا الدين في حياته اليومية، وله من المؤلفات التي ربما لم تترجم بعد إلى اللغة العربية: نهج فلسفي لتناول الإسلام ١٩٨٣. دور الفلسفة الإسلامية، كولونيا ١٩٨٥. وأتمنى أن تتم ترجمتها إلى العربية، لأنها ربما قدمت الجانب النظري - وربما الفلسفي - من رحلته التي انتهت به إلى الإسلام.

### التحول

قرأت كتب مراد هوفمان المترجمة إلى العربية الثلاثة، الإسلام كبديل، يوميات مسلم ألماني، الطريق إلى مكة. قرأت الكتب الثلاثة مرتين. الأولى قراءة عامة، والثانية بحثاً عن حكاية التحول الذي قاد المؤلف إلى الإسلام. وأنا أفضل كلمة التحول، لأن مراد هوفمان أتى إلى الإسلام من أرضية دين آخر، فقد كان مسيحياً كاثوليكياً، أي أنه لم يكن ملحدًا من قبل، ولكنه كان مؤمناً، ولكن بدين آخر. وقبل أن نتكلم عن إسلامه هو، فإنه يصف تحول محمد أسد إلى الإسلام، وتحت عنوان: الطريق إلى مكة - يوم ٨ أغسطس ١٩٨٠، يكتب مراد هوفمان عن محمد أسد وتحوله إلى الإسلام:

- لقد اقتربنا بما فيه الكفاية من نهاية القرن العشرين لتتأكد من أنه ما من

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

شخص آخر استطاع خلال المائة عام الأخيرة أن يبرز النمساوي محمد أسد (الذي كان من قبل يدعى ليوبولد فايس، وهو منحدر من أصل يهودي) في إسهامه العظيم في شرح ونشر الإسلام في الغرب.

ولا يعزى تأثيره القوي إلى ما يحظى به علمه وحكمته الغزيران من احترام فحسب، وإنما أيضًا إلى الصفات الخلقية لهذا المسلم الجسور، والتي حظيت بتقدير مماثل. ولد محمد أسد عام ١٩٠٠م، وعاش حياة حافلة بالمغامرات أتاحت له فرصًا عديدة لإظهار مواهبه المتعددة أيضًا، وعندما بلغ أسد الرابعة عشرة من عمره فرّ من منزله ليشترك في الحرب العالمية الأولى، وتمكن من إقناع الجيش النمساوي بأن يضمه إليه، وفي التاسعة عشرة من عمره عمل مساعدًا للدكتور مورناو، ولما كس رانهارت من بعده، والرجلان من عمالقة صناعة السينما في أوائل عهدها. وفي الثانية والعشرين من عمره أصبح مراسلًا لأشهر الجرائد الألمانية «فرانكفورت ترستايونج» في منطقة الشرق الأدنى. وبعد اعتناقه الإسلام عام ١٩٢٦ أصبح صديقًا للملك ابن سعود ومحمد إقبال. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وجد نفسه في الهند. وعندما أنشئت دولة باكستان تولى منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية لهذه الدولة حديثة النشأة، والتي أرسلت به إلى نيويورك بعد ذلك مندوبًا لها في الأمم المتحدة، وهذه ليست إلا بعض الأدوار المهمة التي قام بها في حياته الجديرة بالإعجاب والتي أمتزج فيها الفكر بالعمل، والفلسفة بالدين، والفنون بالسياسة في صيغة إسلامية حقيقية. وهكذا يعد أسد رجل النهضة على النمط الإسلامي.

وتعتبر كل كتبه الآن من الكلاسيكيات الأصيلية، حيث أسهم كتابه *الإسلام في مفترق الطرق* (١٩٣٤) في أن يعيد للعالم الإسلامي -الذي كان قد فقد ثقته بنفسه أمام غزو التفوق التكنولوجي الغربي.. يعيد إليه كرامته وثقته بثقافته. فلقد كتب في دلهي منذ أكثر من ٥٠ عامًا ببعيد نظر مد هش متنبًا بما يلي: "ويبدو أن تنامي القلاقل الاجتماعية والاقتصادية، وربما أيضًا حدوث سلسلة

من الحروب العالمية ذات أبعاد لا قبل للمرء بمعرفة حدودها مسبقاً، وما يخلقه العلم من ضروب للربح سوف تدفع بالحضارة الغربية المادية المغرورة بشكل مروع إلى الإغراق في السخف على نحو يضطر شعوبها إلى أن تبحث من جديد في استكانة ودأب عن الحقائق الروحية، وهنا يمكن للتبشير بالإسلام أن يجد قبولاً.

وقد تناول محمد أسد في سيرته الذاتية الرائعة *الطريق إلى مكة* ١٩٥٤، عملية اعتناقه للإسلام. ويعاود الكتابة في كتابه هذا عن محمد أسد، عندما قابله في لشبونة ٢١ سبتمبر ١٩٨٥، وذلك تحت عنوان مقابلة مع محمد أسد. يقول مراد هوفمان عن هذه المقابلة التي تمت في فندق تريفولي بلشبونة: كنا ننتظر بشوق مقابلة محمد أسد وزوجته الأمريكية بولا حميدة. هاهما ذا أخيراً!

جاء يقود سيارته بنفسه وهو في سن الخامسة والثمانين. وتحدثنا أولاً بالألمانية - اللغة التي كان يتحدث بها في شبابه - ثم بالإنجليزية. ومع ذلك فقد كان على استعداد أيضاً لأن يشارك في محادثة بالعربية، والفارسية والفرنسية، والبرتغالية والأسبانية، والأردية. ولقد طرحت عليه أسئلة كثيرة بالقدر الذي لا يخرج بي عن حدود اللياقة لكي أعرف المزيد عن خلفية إنجازاته العلمية والأدبية الرائعة في سبيل الإسلام، والتي حققها خلال معظم هذا القرن. وذكرته بالأمنية التي أعرب عنها في الثلاثينات، وهي أن يشغل الإسلام الفراغ الناجم الذي سيخلفه رحيل الإلحاد الغربي والشيواعي عن مسرح الأحداث في حالة إفلاس روحاني.

ولقد تحققت نبوءته جزئياً حيث يأخذ النظامان في التداعي، ولكن خلافاً لما جاء في نبوءته فإنه لم يتم الاعتراف بالإسلام كبديل. ذلك أنه ما من دولة إسلامية قد استطاعت أن تطور نفسها بطريقة تجعل الغرب ينظر إليها كنموذج مضاد مقنع وجذاب، بل جرى الأمر على النقيض من ذلك.

إن تأثير محمد أسد في حياة مراد هوفمان حاسم وجوهري. وهوفمان يعبر عن هذا الدور بصورة مباشرة أكثر من مرة. بل أن من يقرأ ما يكتبه هوفمان عن أسد



● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

يكتشف أنه حتى عناوين كتبه تكاد أن تقتفي أثر كتب محمد أسد. لأسد كتاب عنوانه: *الطريق إلى مكة*. ولهوفمان كتاب عنوانه: *الطريق إلى مكة*. ولأسد كتاب عنوانه *الإسلام في مفترق الطريق*. ولهوفمان كتاب عنوانه: *الإسلام كبديل*. وكل هذا يعلي من قيمة تجربة محمد أسد بالنسبة لمراد وبالتحديد في تحوله إلى الإسلام.

وهو يتكلم عن ألمان تحولوا إلى الإسلام وهما: محمد أ. هوبوم، ورولف عبد الله برندت. ويصف هوفمان إسلامه هو هكذا، في فصل يعد من أقصر فصول كتابه *يوميات ألماني مسلم* لأنه يقع في بضعة أسطر فقط. والفصل عنوانه: «*لا إله إلا الله، محمد رسول الله*».

وهذا هو نص الفصل الحاسم:

- نطقت بالشهادتين في المركز الإسلامي بكونونيا «لا إله إلا الله محمد رسول الله» واخترت لنفسني من بين الأسماء الإسلامية اسم مراد. وأصبحت منذ اليوم مسلمًا. وهكذا بلغت مرادي.

على أن محمد أسد يكتب عن إسلام هوفمان في مقدمة كتابه *يوميات ألماني مسلم* وهو يقدم الأسباب الداخلية الكامنة في النفس الإنسانية التي دفعت مراد هوفمان إلى هذا التحول الفريد في حياته. ويكتب أيضًا عن كتابه *يوميات ألماني مسلم*:

- تسلط هذه التجليات الفكرية البارزة الضوء على اقتراب المؤلف من الإسلام، وهي العملية التي امتدت عبر سنوات طويلة وتوجت أخيرًا باعتناقه النهائي للإسلام في عام ١٩٨٠م.

وكما يشير مراد هوفمان فإن صفحات هذا الكتاب لا تعدو أن تكون «حوارًا مع نفسه» فرضته طبيعته الألمانية الميالة إلى الاستغراق بعمق في دراسة القضايا الأخلاقية والسلوكية والجمالية. ولقد دفعه نفوره من حضارة التكنولوجيا الحديثة

المادية، وكذلك من عقم السيسولوجي الغربي وما ينطوي عليه من إنكار لكل القيم المتعلقة بمصير الجانب الروحي في الإنسان، إلى اكتشاف التناسق بين الأشكال الفنية في العالم الإسلامي والنظرة الدينية لأبنائه. وهذا هو الاكتشاف الذي أوضح له في حينه الارتباط الوثيق بين الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية ذاتها.

وكانت خبراته كدبلوماسي وكزائر لدول إسلامية مختلفة - معظمها في شمال أفريقيا وتركيا - حافزاً له على أن يعكف على دراسة القرآن، وأيقن على مرّ السنين أن اعتناق الإسلام هو النتيجة المنطقية الوحيدة لبحثه عن الحقيقة النهائية للحياة. واختار لنفسه اسم مراد الذي يعني «المبتغى» وبمعناه الواسع «الهدف» أي أعز أهداف حياة ويليفريد هوفمان.

ولا يخامرني شك في أن هذه اليوميات سوف تسهم إلى حد بعيد في مزيد من التقدير للإسلام من جانب أولئك الغربيين الذين لا يزالون ينظرون إلى ديننا بشك بلغ حد العداء، والذين يصرون بعناد على رفض مجرد التفكير في احتمال هبوط وحي إلهي حقيقي بعد عصر المسيح، لا سيما أن مثل هذا الوحي - بما يتسم به من وضوح وبساطة - يختلف اختلافاً جوهرياً عن الكتاب المقدس وما يحفل به من لاهوت زخرفي، وكذلك عن تجارب الغرب الدينية.

هذا ما قاله عن تحول تلميذه إلى الإسلام. لكن تبقى شهادة هوفمان نفسه، ورحلته الداخلية التي قادتته إلى الإسلام.

### التجربة الروحية

إن كتاب مراد هوفمان *الإسلام كبديل*. يتناول المفاهيم الإسلامية الخلافية والمثيرة للجدل في عشرين فصلاً. كتبها ألماني مسلم. والكتاب دعوة على أساس علمي مؤيدة بالتاريخ والحاضر، ونقيّة حرّة من التماس الأعذار. إن الفكرة

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

الجوهرية في هذا الكتاب المهم ذا الطابع النظري. أن الإسلام قد يصبح الديانة السائدة في العالم. فليس بديلاً من البدائل لنظام ما بعد التصنيع الغربي، بل هو البديل، على أنه بالنسبة للموضوع الذي أبحثه وأكتب عنه وهو تجليات مرحلة التحول الروحية في أعماقه، عندما تحول إلى الإسلام. أجد أن أحد فصول كتابه *الطريق إلى مكة* وهو الفصل الثاني وعنوانه: *دروب فلسفية إلى الإسلام* هو المعبر الحقيقي عن هذه الرحلة، اعتمد فيها على نحت التفاصيل الصغيرة. وقدم التجربة الإنسانية على التصور النظري. لذلك فإنني أعتذر مقدماً عن طول الاستشهاد، وذلك لأهمية ما يكتبه هوفمان في هذا الفصل، لأنه إنما يقدم شهادته على تحوله الفريد:

- لم يدر بخلدي، وأنا أتوجه إلى وزارة الخارجية على جبل فينوس في بون يوم ١٩٨٠/٩/٨، أنني سأسافر إلى مكة بعد سنتين لأداء فريضة الحج. فلقد بدأ ما حدث بعد ذلك، من تحول في حياتي يتكشف لي، عندما أمعنت التفكير في محاضرة ألقاها زميلي المسلم محمد أحمد هو يوم، وفي حديثي مع أحمد رسول المدير المصري - الألماني لدار نشر «المكتبة الإسلامية» بكونن، وأنا أعرض عليه مخطوطاً من اثنتي عشرة صفحة، جمعتها لوالدي على مرّ السنين، كي أحدد له بشكل جازم ما أراه فلسفياً حقاً. فلقد أذهلني رد فعل رسول، وهو يقول لي: إن كنت مقتنعاً بما استخلصته، فأنت مسلم!! ولم يكن بوسعي آنذاك أن أدرك هذا، ومع ذلك، فقد أقنعتني برغبته في نشر هذا النص، عن طريق دار نشره، تحت عنوان *درب فلسفي إلى الإسلام*.

لم تمر سوى أيام معدودات قبل أن أشهر إسلامي بنطق الشهادتين يوم ١٩٨٠/٩/٢٥ وليس من الأمور الهينة أن يقدم المرء كشف حساب وتقييماً لتطوره الفكري. لقد كتب هيرمان هسه في إحدى رواياته القصيرة عام ١٩١٩: «التحدث هو أضمن السبل لإساءة فهم كل شيء وجعله ضحلاً ومجدباً» وكتب أيضاً في روايته *لعبة الكرات البلورية* «ترجمت إلى العربية: «الزجاجية» محذراً من صياغة

معنى داخلي في كلمات، إذ يقول على لسان قائد الأوركسترا: «أظهر المهابة للمعنى، ولكن لا تظنه قابلاً للتعلم». لقد فشل عظماء كثيرون في هذه المحاولة...

يقول الصوفي العظيم أبو حامد الغزالي (القرنين الحادي عشر والثاني عشر) في اعترافه: «إن العقيدة لم تتغلغل في نفسه من خلال دليل واحد واضح بعينه، وإنما من خلال عدد لا يحصى من أسباب الإيمان، وخبرات ومواقف مصاحبة يمكن تعديد تفصيلاتها». ويقول أخيراً: إن عودته إلى الإسلام كانت بفعل «نور ألقاه الله في صدره».

وفي كتابه الرائع *الطريق إلى مكة*، يعرض محمد أسد لأمر هدايته إلى الإسلام في سطور قليلة لا تكاد تقنع بعض القراء المتشككين، بينما يشير في موضع آخر من كتابه إلى أنه تشرب الإسلام ارتشاحاً.

ويكاد هذا الأمر يشبه أمر اهتداء كريستيان (عبد الهادي) هوفمان إلى الإسلام، إذ يصفه بما لو كانت «ضربة من السماء» قد أصابته. أما أنا، فكنت لسنوات، بل لعقود، منجذباً إلى الإسلام كالمغناطيس، لأنني ألفت أفكاره، كما لو كنت قد عايشته من قبل. لقد وجهتني على هذا الدرب ثلاثة أحداث أساسية، ذات طبيعة إنسانية، وجمالية فنية، وفلسفية، ويرتبط أول هذه الأحداث ارتباطاً عجيباً بالجزائر.

ففي عام ١٩٦٠، أمضيت شهرين أحاول إجادة اللغة الفرنسية، استعداداً لامتحانات القبول بوزارة الخارجية. وهناك، كنت أقرأ يوميًا تقارير الصحافة الفرنسية عن حرب الجزائر. وفي اختبار القبول بوزارة الخارجية، كان على كل متقدم أن يلقي محاضرة لمدة لا تتجاوز خمس دقائق في موضوع يحدد عشوائيًا، ويكلف به قبلها بعشر دقائق. ولكم كانت دهشتي عندما تبين لي أن موضوع محاضرتي هو «المسألة الجزائرية». وكان مصدر دهشتي هو مدى علمي بهذا

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

الموضوع، وليس جهلي به، وبعد شهور قليلة من الاختيار، وقبل أن أتوجه إلى جنيف بوقت قصير، أخبرني رئيس التدريب، عندما التقينا مصادفة أثناء تناولنا للطعام، أن وجهتي قد تغيرت إلى الجزائر.

في أثناء عملي بالجزائر في عام ١٩٦٢/٦١، عايشت فترة من حرب استمرت ثماني سنوات بين قوات الاحتلال الفرنسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وانضم إليهما أثناء فترة وجودي هنا طرف ثالث هو «منظمة الجيش السري»، وهي منظمة إرهابية فرنسية، تضم مستوطنين وجنوداً متمردين. ولم يكن يمر يوم دون أن يسقط عدد غير قليل من القتلى في شوارع الجزائر. وغالبًا ما كانوا يقتلون رميًا بالرصاص على مؤخرة الرأس من مسافة قريبة. ولم يكن لذلك من سبب، إلا كونهم عربًا أو لأنهم مع استقلال الجزائر.

وكنت عند سماعي صوت سلاح آلي، اتصل تليفونيًا بزوجتي الأمريكية لتسرع إلى شراء ما تحتاج إليه، لأن الهجوم التالي في المنطقة نفسها لا يتوقع حدوثه قبل عشرين دقيقة. وكانت أنبل مهامي هي إعادة أفراد الفرقة الأجنبية من الألمان الفارين إلى الوطن بمعاونة من السلطات الفرنسية. وكان عدد هؤلاء الرومانسيين المساكين غير قليل، منذ فرّ قائد قوات المظلات في العام السابق. وكم كان الموت يجذبهم وكم وجدوا أنفسهم بين نارين. كما كانت فرص نجاتهم من الموت ضئيلة جدًا. وكنت، بصفتي ممثلًا للقنصلية العامة الألمانية، أضع الزهور على قبور الكثير منهم.

كنت، وأنا أبحث عن ألمان بين الجرحى في المستشفيات، أحمل سلاحي معدًا للاستخدام، وكنت أدقق النظر في وجه من يقابلني، بل وفي يديه. وعندما كانت القامات تتقابل، كان كل شخص يبتعد عن الآخر عائدًا إلى الخلف، طلبًا للأمان. وفي بعض الأحيان، كانت زوجتي المذعورة تصرّ على حماية ظهري، فكانت تسير خلفي على مسافة عدة خطوات حاملة في كُمّ ثوبها سكينًا حادًا. شكلت هذه الوقائع الحزينة خلفية أول احتكاك لي عن قرب

بالإسلام المعاش. ولقد لاحظت مدى تحمل الجزائريين لآلامهم، والتزامهم الشديد في رمضان، و يقينهم بأنهم سينتصرون، وسلوكهم الإنساني، وسط ما يعانون من آلام. وكنت أدرك أن لديهم دورًا في كل هذا، ولقد أدركت إنسانيتهم في أصدق صورها، حينما تعرضت زوجتي للإجهاض تحت تأثير «الأحداث» الجارية آنذاك.

فلقد بدأت تنزف عند منتصف الليل. ولم يكن باستطاعه سيارة الإسعاف أن تحضر إلينا قبل الساعة السادسة صباحًا، بسبب فرض حظر التجول، وبسبب شعار «القتل دون سابق إنذار» المرفوع آنذاك. وحينما حانت الساعة السادسة، أدركت، وأنا أطل من نافذة مسكني في الطابق الرابع، أن سيارة الإسعاف لا تستطيع العثور علينا، لأن منظمة الجيش السري كانت قد غيّرت في تلك الليلة أسماء كل شوارع الحي الذي أقطنه، بحيث أصبحت كلها تحمل أسماء مثل شارع «سالان» وشارع «يهود»، وشارع «منظمة الجيش السري».

بعد تأخير طال كثيرًا، كنا في طريقنا متجهين إلى عيادة الدكتور، حيث صادفنا حاجزًا أقامته الجمعية الجمهورية للأمن. وعلى الرغم من صفير البوق الذي كان السائق يطلقه، فإنه لم يكن باستطاعته أن يشق طريقه إلا ببطء شديد، وكانت زوجتي تعتقد في تلك الأثناء، أنها ستفقد وعيها. ولذلك، وتحسبًا للطوارئ، راحت تخبرني أن فصيلة دمها هي (O) ذات (RH) سالب. وكان السائق الجزائري يسمع حديثها، فعرض أن يتبرع لها ببعض من دمه الذي هو من نفس فصيلة دمها. ها هو ذا العربي المسلم يتبرع بدمه، في أتون الحرب، لينقذ أجنبية على غير دينه.

لكي أعرف كيف يفكر ويتصرف هؤلاء السكان الأصليين المثيرون للدهشة، بدأت أقرأ «كتابهم».. القرآن في ترجمته الفرنسية. ولم أتوقف عن قراءته منذ ذلك الحين، حتى الآن. وحتى تلك اللحظة، لم أكن قد تعرفت على القرآن إلا

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

من خلال النوافذ المفتوحة لكتاتيب تحفيظ القرآن في جنوبي الجزائر. حيث يحفظه أطفال البربر، ويتلونه في لغة غريبة عنهم، هوما دهشت له كثيرًا. وفيما بعد أدركت أن حفظ وتلاوة القرآن، باعتباره رسالة الله المباشرة، فرض تحت الظروف كافة.

ولقد أزعجني رد الفعل الغاضب من جانب أحد الجزائريين، عندما حدثته في بارفندق ترانس ميدترانيان في غرادايا، عن قراءتي للقرآن، إذ استنكر في صراحة لا ينقصها الوضوح وجود ترجمات له. واعتبر محاولة ترجمة كلام الله إلى لغة أخرى بمثابة تجديف. ولم أستغرق وقتًا طويلاً قبل أن أستوعب رد فعله. فاللغة العربية تشتمل على مفردات لا تدل على أمر حدث في الماضي أيضًا. ناهيك على أن اللغة العربية تتضمن بعض ما يمكن للعربي أن يفهمه تلميحًا. وبغض النظر عن ذلك، فهناك المشكلة المعتادة التي تكمن في أن الكلمات التي تعبر عن ذات المعنى في لغتين لا تتطابق فيما يختص بتداعي الخواطر إلا نادرًا. ومن ثم، فإن كل ترجمة للقرآن إن هي إلا تفسير يفقر المعنى ويجرده من مضمونه. وهكذا كان الرجل في البار على حق.

لم تشأ هذه الجزائر، التي أدين لها بالكثير، أن تتركني لحالي، وإنما تبعتني كالقدر، عندما أصبحت سويسرا ترعى مصالحنا في الجزائر، في عام ١٩٦٦، كان عليّ أن أعمل من السفارة الألمانية في برن، على استمرار الاتصال مع من تبقى من بعثتنا الدبلوماسية في الجزائر من خلال القسم السياسي في السفارة السويسرية، وكان البريد المرسل من بون إلى الجزائر، يمرّ من خلاّلي أسبوعيًا، وبعد ٢٥ عامًا من عملي بالجزائر لأول مرة، عدت إليها سفيرًا في عام ١٩٨٧، ومنذ اعتمدت سفيرًا في المغرب، المجاور للجزائر، في عام ١٩٩٠، يندر أن تفارق مخيلتي صورة الجزائر التي ما تزال تعاني آلامًا مأساوية. فهل يمكن أن يكون ذلك كله محض مصادفة؟

يقول هوفمان أنه هداه إلى الإسلام أيضًا، تجربة مهمة، ذات طبيعة جمالية متصلة بالفن الإسلامي. ولهذه التجربة، قصة تتلخّص في أنني «مولع بالجمال».

وكنت منذ صباي معجباً بالجانب الشكلي للجمال، وأرغب الغوص في أعماقه حتى عندما كانت حماتي الأمريكية تقول -استناداً الى المنهج البيوريتاني - إن الجمال مجرد أمر سطحي، وإنه ليس إلا خداعاً على السطح. عندما تلقيت في عام ١٩٥١ الدفعة الأولى من منحة التفوق، التي تمنحها وزارة الثقافة في بافاريا «للموهوبين جداً»، دفعتها بأكملها ثمناً لشراء نسخة مطبوعة على قطعة من الجوت من لوحة بول جوجان: «الفتاة وثمار المانجو». ونقلت لوحة جوجان التي اشتريتها إلى مسكني، ورحتُ أحللها. ولم أثبت أن اقتنعت بأن الفن الساكن (غير المتحرك) - الرسم، والنحت، والعمارة، والخط، والأعمال الفنية الصغيرة - مدين بالفضل في تأثيره الجمالي للحركة المجمدة، ومن ثم، فإنه مشتق من الرقص. ولذلك، يزداد إحساسنا بجمال الفن التشكيلي كلما ازدادت قدرته على الإيحاء بالحركة...

كانت المراحل التالية في حياتي هي بإيجاز: العمل فيما بين عامي ١٩٥٤، ١٩٨٠ ناقدًا متخصصًا للباليه في صحف في ألمانيا وبريطانيا وأمريكا، والعمل محاضرًا لمادتي تاريخ وعلم جمال الباليه بمعهد كولونيا للباليه فيما بين ١٩٧٣، ١٩٧١. وتقدمت بمذكرات إلى مؤتمر وزير الثقافة حول تأسيس باليه قومي ألماني. لم يكن بعض معارفي يعلم أن القانون والدبلوماسية هما مهنتي الأساسية، وليس الباليه. وكان الكتاب الأثيرحاً عندي، هو كتاب جيلبرت كونز عن تاريخ علم الجمال كعلم فلسفي. وكعاشق للباليه، ذلك الفن المجرد الذي يجسد الموسيقى، كنت في الواقع أبحث عن الأسباب التي ترغمننا على الإحساس بجمال أشياء أو حركات بعينها. ولهذا السبب، كنت أقبع لأسابيع طويلة في إحدى الغابات البفاروية باحثاً عن أسس علم جمال الحركة. وهناك تبين لي أننا كبشر لا نملك إلا أن نحس جمال الجسد البشري الصحيح وما يتطابق مع مقاييسه. وهو ما ينطبق أيضاً علينا كمحللين بصريين لما تفرزه الطبيعة من صور



● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

وأشأن. يضاف إلى ذلك أننا نقرأ الصور في ذات الاتجاه الذي نكتب فيه. وتبين لي أخيراً أن الحركات تستحوذ على انتباهنا بسبب ما يمكن أن تنطوي عليه من مخاطر. وتبين لي أننا نعجب بحركات الطرد المركزي، لأننا نستطيع أن نتخيلها ممتدة في ما لا نهاية.

عبر هذا الطريق، صار الفن الإسلامي بالنسبة لي تجربة مهمة ذات قيمة عالية ومثيرة. ألا يماثل في سكونه ما أسعدني في حركات الباليه التجريدية؟ القدرة الإنسانية، والحركة الداخلية، والامتداد فيما لا نهاية، وذلك كله في إطار من الروحانية التي يتسم بها الإسلام؟!

ألهمتني أعمال معمارية، مثل الحمراء في غرناطة والمسجد الكبير في قرطبة اليقين بأنها إفراز حضارة راقية رفيعة. واستوعبت جيداً ما كتبه راينر ماريا ريلكا بعد زيارته لكاتدرائية قرطبة، إذ كتب: «... تملكني منذ زيارة قرطبة عداً وحتى للمسيحية. إنني أقرأ القرآن وهو يتجسد لي صوتاً يستوعبني بقوة طاغية، وأندفع بداخله كما تندفع الريح في الأرغن».

صار الفن الإسلامي لي وطناً جمالياً، مثلما كان الباليه الكلاسيكي من قبل، وأصبحت أرى الأعمال الفنية للعصون الإغريقي والروماني والقوطي، ولعصر النهضة والروكوكو، مثيرة، وعريضة، وأصيلة، بل وعبقرية، ولكنها لا تنفذ إلى داخلي، ولا تحرك عواطفني ولا مشاعري.

إنني أدرك قوة جاذبية فن هذا الدين الآن أفضل من ذي قبل، حيث إنني محاط في المنزل الآن بفن تجريدي، ومن ثم بفن إسلامي فقط. وأدركها أيضاً عندما يستمر تاريخ الفن الغربي عاجزاً عن مجرد تعريف الفن الإسلامي. ويبدو أن سره يكمن في حضور الإسلام في حميمية شديدة في كل مظاهر هذا الفن، كما في الخط، والأرابيسك، ونقوش السجاد، وعمارة المساجد والمنازل والمدن. إنني أفكر كثيراً في أسرار إضاءة المساجد وفي بقائها، وفي بناء القصور الإسلامية، الذي يوحي بحركة متجهة إلى الداخل، بحدائقها الموحية بالجنة بظلالها

الوارفة، وينابيعها ومجاريها المائية، وفي الهيكل الاجتماعي الوظيفي المبهر للمدن الإسلامية القديمة (المدينة) الذي يهتم بالمعيشة المتجاوزة تمامًا كما يهتم بإبراز موقع السوق وبالمواءمة أو التكيف لدرجات الحرارة وللرياح، ودمج المسجد والتكية والمدرسة والسبيل في منطقة السوق ومنطقة السكن.

إن من يعرف واحدًا من هذه الأسواق - وليكن في دمشق، أو اسطنبول، أو القاهرة، أو تونس، أو فاس - يعرف الجميع. فهي جميعًا، كبرت أم صغرت، منظمات إسلامية من ذات الطراز الوظيفي. فما أكثر ما تجولت في سوق مدينة شلا المؤاخية للرباط لكي أستعيد حيويتي. إنه ذروة مجتمعية حيوية، يجد فيها كل إنسان مكانًا له، شيخًا كان أم شابًا، صحيحًا كان أم معاقًا، فقيرًا أم غنيًا، أبيض أم أسود. ولا يوجد به عجلة، ولا أزمة ضيق وقت، ولا مبالغة في تقييم الذات، ولا خمور، ولا وسائل نقل ثقيل، ولا سياج، ولا ابتزاز، وحيث الجميع سواسية، وكل عملية شراء ترتبط بـ«دردشة»، وحيث تغلق الحوانيت أبوابها وقت الصلاة.

كان ما أحسست منذ البداية أنه إسلامي وباعث على السعادة هو في واقع الأمر التأثير الناضج للتناغم الإسلامي، وللإحساس بالحياة والمكان الإسلاميين على العقل والروح. وهذا ما أحسست به في متحف جوليينكيان الإسلامي في لشبونة، مثلما أحسست به في المسجد الأموي بدمشق، وفي مسجد ابن طولون بالقاهرة، وفي مسجد القيروان القديم أو المسجد السليمي في أدرنة.

قبل أن يقودني الدرب الفلسفي إلى الإسلام، الذي قادني بدوره إلى تجربة أساسية ثالثة في حياتي، كنت قد حصلت، وأنا بعد في سن المراهقة في مدينة اشفنبرج، على قسط وافر من التعليم الجيزويتي، من خلال عضويتي لجمعية وهي المقابل لحركة «ألمانيا الجديدة» المتمركزة في الشمال.

ويعود ارتباطنا، بل تعلقنا الرومانسي، بهذه المنطقة إلى فترة حكم النازي، وذلك لأن الجستابولم يتمكن من الكشف عنها عندما كانت تقاوم هذا الحكم سرًا.

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

ولم يكن حتى أبي يعلم بعضويتي لهذه المنظمة. وكنا نجتمع أسبوعياً مع أحد القساوسة الجيزويت في إحدى المقابر، في ظل إجراءات أمنية مشددة. فكان كل فرد منا لا يعرف سوى أفراد مجموعته فحسب، ولكننا تمكنا بمرور الوقت من استقطاب أفضل عناصر تلاميذ المدارس الثانوية. وقطعنا بذلك الطريق على منظمة «شبية هتلر»، أي أننا منعنا هذه العناصر الجيدة من أن تنضم إلى منظمات الشباب التابعة للحكم النازي. ولقد أدهشنا أن عدد أفراد المنظمة بلغ عند انتهاء الحرب ٨٠ فرداً.

بعد أن انقضت الحرب، عدنا إلى الاستمتاع بحياة وأساليب منظمات الشباب التي كانت سائدة في عشرينيات القرن. ونظراً لما سبق ذكره، فقد كنت على دراية تامة بالديانة الكاثوليكية، وبأدق شؤونها من الداخل. ولكنني في الوقت ذاته، كنت قد بدأت أضع هذه الديانة محل تساؤلات وشكوك. كنت أتساءل دوماً عما إذا كان من الصواب أن يكون علم اللاهوت ودارس الأديان مسيحي الديانة. ولقد كنت شديد الاقتناع بضرورة تسيير الله سبحانه وتعالى لمجريات الأمور، ويركز اقتناعي هذا على دراستي ودرائتي بتاريخ الإنسانية والعلوم، والحق، التي استنتجت من خلالها أن مجرد مراقبة الطبيعية وتتبعها فقط لن يقودنا إلى إدراك حقيقة علاقتنا بالله. ألا يشهد تاريخ العلوم على حقيقة مفادها أن الحقائق العلمية يغير بعضها بعضاً بسرعة شديدة؟

كنت بهذه الخطوة قد حسمت يقيني بإمكانية، بل بضرورة، الوحي والدين. ولكن أي دين؟ وأي عقيدة؟ هل هي اليهودية؟ أم المسيحية، أو الإسلام؟ وجاءتني الإجابة من خلال تجربتي الثالثة التي تتلخص في قراءة المتكررة للآية ٣٨ من سورة النجم: ﴿الَّا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَّرَزَّ أُخْرَى﴾. ولا بد من أن تصيب هذه الآية بصدمة شديدة كل من يأخذ مبدأ حب الآخر الوارد في المسيحية مأخذ الجد، لأنه يدعو في ظاهراً الأمر إلى النقيض. ولكن هذه الآية لا تعبر عن مبدأ أخلاقي، وإنما تتضمن مقولتين دينيتين تمثلان أساساً وجوهراً لفكر ديني، هما:

١- أنها تنفي وراثه الخطيئة.

٢- أنها تستبعد، بل وتلغي إمكانية تدخل فرد بين الإنسان وربه، وتحمل الوزر عنه.

٣- والمقولة الثانية هذه تهدد، بل وتنسف، مكانة القساوسة، وتحرمهم من نفوذهم وسلطانهم الذي يرتكز على وساطتهم بين الإنسان وربه وتطهيرهم الناس من ذنوبهم.

والمسلم بذلك هو المؤمن المتحرر من جميع قيود وأشكال السلطة الدينية. أما نفي وراثه الخطيئة وذنوب البشر، فقد شكل لي أهمية قصوى، لأنه يفرغ التعاليم المسيحية من عدة عناصر جوهرية، مثل: ضرورة الخلاص، التجسيد، الثالوث، والموت على سبيل التضحية. وبدت لي المسيحية وكأنها تعود لترتكز في أصولها على أساطير متنوعة ومتعددة. وتبين لي جلياً الدور الخطير والشرير الذي لعبه بولس الرسول. لقد قام بولس، والذي لم يعرف المسيح أبداً ولم يصاحبه في حياته، بتغيير بل وبتزوير التعاليم اليهودية - المسيحية التي صاغها برنابا وترى في المسيح أحد رسل الله وأنبيائه.

وتيقنت أن المجلس الملي، الذي انعقد في نيقيا (عام ٣٢٥)، قد ضل طريقه تماماً، وحاد عن الصواب وتعليمات المسيحية الأصلية، عندما أعلن أن المسيح هو الله. واليوم، أي بعد مرور ما يزيد على ستة عشر قرناً، يحاول تصحيح هذا الخطأ بعض علماء اللاهوت الذين يتمتعون بجرأة شديدة.

ومجمل القول إنني بدأت أنظر إلى الإسلام كما هو، بوصفه العقيدة الإسلامية الحقة التي لم تتعرض لأي تشويه أو تزوير. عقيدة تؤمن بالله الواحد الأحد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (سورة الإخلاص). رأيت فيه عقيدة التوحيد الأولى، التي لم تتعرض لما في اليهودية والمسيحية من انحراف، بل ومن اختلاف عن هذه العقيدة الأولى.. عقيدة لا ترى أن معتقبيها هم شعب الله المختار، كما أنها لا تؤله أحد الأنبياء اليهود.

● حجة مراد ويليفريد هوفمان تجربة التحول إلى الإسلام

لقد وجدت في الإسلام أصفى وأبسط تصور لله. ولقد بدت لي مقولات القرآن الجوهريّة ومبادؤه ودعوته الأخلاقية منطقية جدًّا حتى إنه لم تعد تساورني أدنى شكوك في نبوة محمد. ولقد سمعت مرارًا قبل اعتناقي الإسلام مقولة أن التحول من دين إلى دين آخر ليس له أي أهمية، حيث إن الأديان كلها تؤمن في آخر الأمر بإله واحد، وتدعو إلى الأخلاقيات والقيم ذاتها. وأن السلوكيات والأخلاق الحميدة، بالإضافة إلى الإيمان بالله في قلب الإنسان، وأن يتوجه الإنسان إلى الله سرًّا، لأهم من الصلاة خمسًا، ومن صوم رمضان وأداء فريضة الحج. كم من مرة أضطرت آثار التحول الاستماع إلى هذه المقولات من مسلمين أترك تخلّوا عن عقيدتهم دون أن يدركوا ذلك. إن إلهاً خاصًّا سرّيًّا ليس بإله. وكل هذه الحجج والمقولات تبدو واهية، إذا ما تيقنت أن الله يتحدث إلينا في قرآنه. ومن يدرك هذه الحقيقة لا يجد مفرًّا من أن يكون مسلمًا بأعمق معاني هذه الكلمة.

لقد تشكلت رحلة هوفمان إلى الإسلام عبر محطات هي: الدين - الفن - الفلسفة - الحياة اليومية. وكلها من الأمور التي تدور في نطاق العقل. أهم ما في تجربة تحول هوفمان إلى الإسلام أنه لم تكن هناك مصلحة شخصية لصاحب القرار. ولم تكن هناك ضرورة من تلك الضرورات التقليدية للتحول إلى الإسلام. مثل البحث عن طلاق مستحيل، أو مواجهة موقف صعب وعصيب في حياة الإنسان اليومية لا يكون هناك مخرج منه إلا بالتحول إلى الإسلام.

لقد جاء تحول مراد هوفمان إلى الإسلام في وقت كان الإسلام يتعرض لهجوم ومناوشات كثيرة في الغرب، التي تعدّ مقدمة لحرب كاسحة من الغرب ضد الإسلام والمسلمين. تحول هوفمان إلى الإسلام في أول عقد الثمانينات من القرن الماضي. وبدأت كتاباته التي يرصد فيها تحوله الإسلام في عقد التسعينات. وهو نفس الوقت الذي ظهرت فيه نظرية صامويل هنتنغتون صدام الحضارات. وكانت قد سبقتها فكرة فوكوياما نهاية التاريخ.

يركز هنتنغتون على فكرة سمو الحضارة الغربية على غيرها من الحضارات.

ويؤكد على انتصار الحضارة الغربية على غيرها من الحضارات في الحرب  
الصدامية التي لا بد أن تقع بين الغرب المسيحي والشرق المسلم.

أما كتاب فوكوياما فيقول:

إن الرأسمالية التي هي العلامة البارزة للحضارة الغربية في القرن العشرين.  
انتصرت على غيرها من الأيديولوجيات المنافسة وأبرزها الماركسية. وأنها ستكون  
هي الأساس في رحلة الإنسان إلى أبد الأبدين بشعاراتها البراقة عن حرية السوق  
وتحرير التجارة.

في مواجهة هذا المناخ جاء إسلام مراد هوفمان وجاءت كتاباته لتشكّل الرد  
الدقيق في الوقت المناسب تمامًا. خاصة أن إسلامه أثار زوابع هائلة في وسائل  
الإعلام، وفي دوائر الأحزاب، وفي البرلمان. وكان القبول بما أثاره آنذاك يعدّ  
تفريطًا. لأنه كان يتجاوز شخص المؤلف بكثير: فقد كان حملة قذف وتشويه  
منظمة تستهدف ما هو أبعد من ذلك من وجهة نظرهم.

لقد حاول مراد هوفمان. وبمنهج عقلاني دحض جميع التحيزات والأفكار  
الخاطئة واللامعقولة المسبقة والضاربة بجذورها في أعماق الوجدان الألماني حيال  
الإسلام. كما أنه حاول شرح هـ حقيقة الإيمان كما عاشها وحاول أن يساعد  
على إدراك القوة الدافعة التي يستمدّها المسلم المؤمن من دينه. وكيف تستطيع أن  
تسمو به، وأن يساعد كذلك على تبين الأفق الذي يمكن أن يصل إليه العالم  
الإسلامي عند تمسكه بهذا الدين في حياته اليومية.

لم يكن مراد هوفمان أول من تحول إلى الإسلام.

ولن يكون الأخير.

ولكن يبدو أنه أكثر من تحولوا إلى الإسلام أهمية.